١٢٩٥

السيف البتار لمن سبَّ النبي المختار

من عاب أو سب النبي فحكمه
سيف يُجَلِّلُه قتلا وتقريعا
هذا قضاء المسلمين جميعهم
لا خُلْفَ بينهم ولا تفريعا

لأبي الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق
عفا الله عنه

1989

السيف البتار

لمن سبَّ النبي المختار

من عاب أو سب النبي فحكمه
سيف يُجَلِّله قتلا وتقريعا
هذا قضاء المسلمين جميعهم
لا خُلْفَ بينهم ولا تفريعا

لأبي الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق
عفا الله عنه

بســم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين. ورضي الله عن صحابته والتابعين .

وبعـد. فقد كتب عالمان جليلان، في حادثة وقعت في زمنهما، كتابين مفيدين : أحدهما : القاضي تقي الدين السبكي، ألف كتاب «السيف المسلول على من سب الرسول». والآخر : الحافظ تقي الدين ابن تيمية، وسمى كتابه : «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وهو مفيد جدا، لكنه ليس عندي الآن .

وهذا مؤلف ثالث، كتبته لحادثة أوجبته، وسميته :

السيف البتار لمن سب النبي المختار

والله أسأل أن يقبله مني، ويجعله سببا لنيل رضاه. إنه جواد كريم، رؤوف رحيم .

قال الامام ابن المنذر في كتاب الاقناع :

أجمع عوام أهل العلم على وجوب القتل على من سب النبي ﷺ. هذا قول مالك والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحق ومن تبعهم. اهـ

قال القاضي عياض في الشفا : وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة، والأوزاعي في المسلم، وقالوا : هي ردة. اهـ

وحكى ابن حزم في المحلى عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ابن حنبل واسحق بن راهوية وسائر أصحاب الحديث وأصحابهم، أن من سب النبي ﷺ كافر مرتد وقال محمد بن سحنون : أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى وحكمه عند الأمة القتل. اهـ

وممن صرح بوجوب قتل شاتم النبي ﷺ أبو بكر الصديق، وابن عمر، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أما أبو بكر، فروى أبو داود والنسائي عن أبي برزة رضي الله عنه قال : كنت عند أبي بكر رضي الله عنه، فتغيظ على رجل فاشتد عليه، فقلت : تأذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه، قال : فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل فأرسل إلي، وقال : ما الذي قلت آنفا ؟ قلت : ائذن لي أضرب عنقه، قال : أكنت فاعلا لو أمرتك ؟ قلت : نعم. قال : لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ .

وروى بن حزم من طريق قاسم بن أصبغ قال : حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني نا محمد بن بشار أنا معاذ بن معاذ العنبري نا شعبة عن توبة العنبري قال : سمعت أبا السوار القاضي عبد الله بن قدامة يحدث عن أبي برزة قال : أغلظ رجل لأبي بكر، فقلت : ألا أقتله ؟ فقال أبو بكر : ليس هذا إلا لمن شتم النبي ﷺ .

وأما ابن عمر رضي الله عنهما، فروى ابن المنذر في كتاب الأوسط عن حصين عن مجاهد قال : قيل لابن عمر : أن رجلا سب النبي ﷺ، فقال : لو سمعته لقتلته ما صالحناهم على سب نبينا. وروى الخلال في الجامع في كتاب الملل : باب من شتم النبي ﷺ، عن حصين عمن حدثه عن ابن عمر، أنه مربه راهب، فقيل له : هذا يسب النبي ﷺ، فقال ابن عمر : لو سمعته لقتلته، انا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا .

وأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فروى ابن حزم في المحلى من طريق قاسم بن أصبغ نا ابن وضاح نا سحنون نا ابن وهب عن خالد عن حميد عن عمر بن عبد الله عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب : أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني وجدت رجلا بالكوفة يسبك، وقامت عليه البينة، فهممت بقتله أو قطع يديه، أو قطع لسانه، أو جلده، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : سلام عليك، أما بعد والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأقدته منك، فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلى الكناسة، فسبه

كالذي سبني، أو اعف عنه فإن ذلك أحب إليَّ. فإنه لا يحل قتل امرىء مسلم يسب أحدا من الناس إلا رجلا سب رسول الله ﷺ .

ويؤيد هذه الآثار أحاديث :

منهـــا

قال ابن حزم : حدثنا حمام نا عباس بن أصبغ نا محمد ابن عبد الملك بن أيمن نا أبو محمد حبيب البخاري ـــ هو صاحب أبي ثور ثقة مشهور ـــ نا محمد بن سهل سمعت علي بن المديني يقول : دخلت على أمير المؤمنين، فقال لي : أتعرف حديثا مسندا فيمن سب النبي ﷺ فيقتل ؟ قلت : نعم. فذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين : كان رجل يشتم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ «**من يكفيني عدوا لي ؟**» فقال خالد بن الوليد : أنا. فبعثه النبي ﷺ إليه، فقتله. فقال له أمير المؤمنين : ليس هذا مسندا هو عن رجل، فقلت : يا أمير المؤمنين : بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى النبي ﷺ فبايعه، وهو مشهور معروف .

قال : فأمر لي بألف دينار .

قال ابن حزم : هذا حديث مسند صحيح .

ومنهـــا

حديث قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي شتم ﷺ، وهو في الصحيحين، وفي كتب السيرة. روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله**

ورسوله» فقام محمد بن مسلمة : فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال «**نعم**» قال : فائذن لي أن أقول شيئا. قال «**قل**» فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وأنه قد عنّانا وإني قد أتيتك أستسلفك، قال : وأيضا والله لتملّنّه، قال : انا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه ؟ وقد أردنا أن تسلفنا، قال : نعم، ارهنوني، قلت : أي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني، نساءكم، فقالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنوني أبناءكم، قالوا : كيف نرهنك أبناءنا، فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللأمة ــ يعني السلاح ــ فواعده أن يأتيه ليلا، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته : أين تخرج الساعة ؟ أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم، قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، ان الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال : إذا ما جاء فإني قائل(1) بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال : ما رأيت كاليوم ريحا أي أطيب، قال : عندي أعطر نساء العرب فقال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم، فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم، فلما استمكن منه، قال : دونكم، فقتلوه، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه. هذا لفظ رواية البخاري .

(1) ــ قائل بشعره أي مميل له .

وكان كعب قد نقض العهد، وحرض قريشا على قتال المسلمين بعد انتصارهم ببدر، وقال لما بلغه قتل صناديد قريش : لئن كان محمد قتل هؤلاء، لبطن الأرض خير من ظهرها .

ومنهـــا

حديث قتل أبي رافع اليهودي. روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله ابن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا فقتله، وكان قتله بعد كعب بن الأشرف لعنهما الله .

ومنهـــا

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ، وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال : فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول (2) فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجلها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس، فقال «**أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق الاقام**» قال : فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل (3) حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين،

(2) ــ المغول بوزن منبر شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه .

(3) ــ يتمايل .

وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ : «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**». رواه أبو داود والنسائي. ورجاله ثقات .

ومنهـــا

ما رواه أبو داود عن الشعبي عن عليّ عليه السلام : أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها(4) رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها .

رجال اسناده رجال الصحيح .

— 2 —

تبين مما أوردناه أن الحكم بقتل صاحب آيات شيطانية صحيح جدا، وهو مبني على أساس من الأدلة متين. ومن استبعد هذا الحكم، أو استكثره، فهو إما جاهل بأحكام الدين وقواعده، وإما أن في عقيدته دخلا وخللا. أما الذي أيد ذلك المجرم وجاحش عنه ممن ينتمي إلى الاسلام فهو مرتد، يجب قتله، إن لم يتب، وهذا حكم الاسلام .

سئل الامام أبو الحسن القابسي فيمن قال عن النبي ﷺ : الحمال(5) يتيم أبي طالب ؟ فأفتى بقتله وسئل أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة عن رجل سمع جماعة يتذاكرون في صفة النبي ﷺ، إذ مر عليهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم :

(4) ـــ فخنقها بالنون من الخنق، ووقع في شرح مختصر سنن أبي داود بتحقيق حامد الفقي، فخفقها بالفاء وهو تحريف .

(5) ـــ بالحاء المهملة لأنه ﷺ كان يحمل حاجته ولا يدع أحدا يحملها عنه، فمن وصفه بالحمال ذمّا له، فإنه يقتل .

تريدون أن تعرفوا صفته ؟ هي صفة هذا المار في خَلْقِه وخُلُقِه وهيئة لحيته ؟ فأفتى بقتله، ولا تقبل توبته .

وقال الشيخ أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون : من قال : أن النبي ﷺ أسود، يقتل .

والحوادث من هذا القبيل كثيرة، ذكر جملة منها القاضي عياض في الشفا رحمه الله ورضي عنه .

وقال حبيب بن الربيع القروي : مذهب مالك وأصحابه ان من قال في حق النبي ﷺ ما فيه نقص، قتل دون استتابة. وقال ابن عتاب : نص الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي ﷺ بأذى أو نقص معرِّضا أو مصرحا وإن قل، فقتله واجب .

قال القاضي عياض : فهذا كله ــ أي ما فيه أذية أو تنقيص له ــ مما عده العلماء سبا، يجب قتل قائله، لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم. اهـ

والحوادث التي حكاها القاضي عياض وغيره، نفذ حكم القتل في مرتكبها مسلمين كانوا أو نصارى، إذ كانت الحدود قائمة، وحكم الاسلام نافذ .

أما في هذا العصر المتأخر، حيث أحكام الاسلام معطلة ولا يمكن تنفيذها، بل صار الاسلام غريبا في بلاده بين أهله، تقابل أحكامه منهم باستنكار واشمئزاز، فالطاعن في الدين، يلقى تكريما من الحكومات الاسلامية، لا يلقاه العلماء المخلصون الغُيُر على دينهم .

خذ مثلا طه حسين، كذب القرآن الكريم، وجرأ طلبته على الطعن فيه وصرح بإباحة الزنا وعُين بعد ذلك عميدا لكلية الآداب، ثم عميدا للجامعة، ثم وزير المعارف، ثم منح لقب باشا، ثم عُين رئيسا لمجمع اللغة العربية ثم منح لقب عميد الأدب العربي. فكان كفره وإلحاده سبب نيله هذه المناصب الخطيرة .

وله نظراء في المغرب لا يقلون عنه في الكفر والالحاد، طعنوا في القرآن وسموا بعد قصصه خرافة، كما سموا الأحاديث الصحيحة خرافة أيضا. وهم مع ذلك يتولون مناصب خطيرة توجيهية في التعليم وتثقيف الجيل، حتى أنهم قرروا في المدارس نظرية داروين الخرافية في النشوء والارتقاء، مع ظهور بطلانها واتفاق المدارس العربية والأوروبية على تركها، فهي لا توجد اليوم إلا في مدارسنا بسبب هؤلاء الملحدين أفراخ الشيوعية، ولهم مجلات، تنشر إلحادهم وطعنهم في النبي ﷺ، ولا يمسهم أحد بسوء، لأن القانون الأوروبي يحميهم، وهو القانون المعمول به في البلاد الاسلامية كلها ما عدا الحجاز .

والنصارى لعنهم الله يرضيهم الطعن في ديننا ويحرضون عليه، ولا يجدون فرصة لذلك إلا انتهزوها .

لما كنت في لندن، وجدت في كثير من شوارعها أماكن اللهو والقمار والرقص، ووجدت مكتوبا على أبوابها : مكة، بالأحرف اللاتينية، اتخذوا اسم هذا البلد الذي هو قبلة المسلمين عنوان الميسر والفجور. وعداوة الانجليز للاسلام أشد من غيرهم من الكفار لعنهم الله أجمعين .

الحرية التي يلوكها الجهلاء والملحدون، لها حد، إذا تجاوزته كانت جريمة يعاقب عليها القانون .

فليس من الحرية التهجم على الدين بالطعن والتزييف وجرح شعور المسلمين، لأن الدين وضع إلهي، والطاعن فيه، معترض على الله تعالى، ولا يعترض عليه إلا كافر ملعون. وسب النبي ﷺ طعن في الدين وهدم له من أساسه .

قال الله تعالى ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين**﴾ .

قال ابن كثير في هذه الآية : ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرون : ليا بألسنتهم وطعنا في الدين، يعني بسبهم النبي ﷺ، اهـ .

وكان الأنصار يقولون للنبي ﷺ : راعنا يا رسول الله أي ارعنا سمعك، وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود، معناها الرعونة وهي الحمق، فمعنى راعن أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم : كنا نسب محمدا سرا، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لهم : لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه. فأنزل الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا**﴾ لكيلا يجد اليهود لذلك سبيلا إلى شتم النبي ﷺ .

وتوعد الله تعالى من يؤذي رسوله ﷺ بقوله ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾ .

وقال عز وجل ﴿**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم**﴾ .

قال المفسرون : ايذاء الله بنسبة الولد والشريك إليه وإيذاء رسوله بسبه أو نسبة عيب له ﷺ. وليس من الحرية أيضا اغتياب مسلم، أو نسبته إلى الفاحشة، لأن الغيبة محرمة بنض القرآن في قوله تعالى ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**﴾ .

والأحاديث كثيرة في تقبيحها وعظم إثمها .

وسئل النبي ﷺ ما هي الغيبة ؟ فقال «ذكرك أخاك بما يكره» قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ فقال : «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**» .

وأوجب الاسلام على من نسب مسلما إلى فعل الفاحشة أن يجلد ثمانين جلدة، مع الحكم بفسقه ورد شهادته إلى أن يتوب. والحكمة في تحريم الغيبة والقذف حفظ كرامة المسلم، وصون عرضه من أن يصيبه ما يخدشه أو يثلمه .

— 4 —

لا إكراه في الدين، كثير من الناس يفهمون هذه الآية على غير وجهها الصحيح، وأنا أبين معناها فأقول :

معنى الآية الكريمة أن اليهودي أو النصراني لا يكره على الاسلام بل يترك على حاله، لأنه متمسك بدين كان صحيحا قبل نسخه بالاسلام .

أما الشرك وسائر ما يعبد من دون الله، فليست هذه بدين يعتبره الاسلام، وإنما هي اعتقادات وعادات جاهلية ورثها الأبناء عن الآباء، فهؤلاء لا يقرون على ما اعتادوه، بل يجب قتالهم حتى يسلموا، ولا تقبل منهم جزية .

وبهذا ثبت الحديث المتواتر عن النبي ﷺ أنه قال «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» .

وهو تنفيذ لقوله تعالى ﴿**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾.

لكن استثنى الحديث المجوس فقال : «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**» .

وقال علي عليه السلام : كان لهم كتاب .

والخلاصة : أن أهل الكتاب والمجوس، يقرون على دينهم إذا أعطوا الجزية ولا يكرهون على الاسلام، لأن لهم في الأصل دينا يعترف به الاسلام .

أما غيرهم من بقية أنواع الكفر، فليس لهم دين يقرون عليه، وإنما يعبدون أشياء تلقوها عن آبائهم كما قالوا : **﴿انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾** وقال الله تعالى فيهم : **﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾** وقال قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن معبوداتهم : **﴿وجدنا آباءنا لها عابدين﴾** .

فهؤلاء يجب قتالهم حتى يسلموا، لأن بقاءهم فساد في الأرض، والله لا يحب الفساد. وكذلك الأفكار الهدامة التي حدثت في هذه العصور مثل الشيوعية وغيرها، لا يجوز تركها، بل يجب قتال أصحابها وقتلهم، وبالله التوفيق .

والمسلم إذا ارتد يجب قتله بعد استتابته إن لم يتب .

للحديث الصحيح **«من بدل دينه فاقتلوه»** .

— 5 —

سكوت الدول الاسلامية، عن كتاب آيات شيطانية، أبان عن تقصير كبير، وفقدان الغيرة الدينية من قلوبهم، لا سيما وفي هذه الدول من تدعي السهر على حماية العقيدة الاسلامية مع أن الطعن في الرسول هدم للدين من أساسه .

كان الواجب عليهم أن يحتجوا على الدولة الانجليزية التي طبعت الكتاب ونشرته، ويقرروا منع تداوله في بلادهم، ويبينوا للعالم ما في الكتاب من كذب وافتراء .

هذا أقل ما يجب، ولم يفعلوه، فما حجتهم عند الله تعالى ؟ والعجيب أن بعض الدول الكافرة منعت دخول ذلك الكتاب في بلادها (6) مراعاة لشعور المسلمين الذين لم يحركوا ساكنا ولا نطقوا في هذا الموضوع ببت شفة !!

وصدق الشيخ محمد عبده الذي قال : لعن الله مادة ساس يسوس، وما تصرف منها .

ونأسف غاية الأسف على ذهاب الغيرة الاسلامية من قلوب المسلمين ومن وجدانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد حصلت حادثة من هذا النوع، أظهر فيها مسلم من قوة الايمان ما لا يوجد عند كبراء المسلمين وزعمائهم الذين يتصدرون المجالس، ويتشدقون بالخطب الحماسية الجوفاء !

قرأت في جريدة الأهرام المصرية خبر شاب هندي اسمه عبد القيوم، سمع الحاكم الانجليزي للهند يشتم النبي ﷺ، فقتله. والانجليز كانوا في الهند ظلمة جبارين، فاستكثروا هذه الجرأة واستعظموها وقدموه للمحاكمة، وحكم باعدامه، فلما سمعت أمه الحكم عليه، زغردت فرحا، وقالت : ابني يموت شهيدا. وصدقت، فإنه مات شهيدا، رضي الله عنه وعنها .

(6) ـــ سمعت في الأخبار اليوم أن آلافاً من الناس تظاهروا في لندن وطالبوا الحكومة الانجليزية بمنع تداول كتاب آيات شيطانية في الأسواق، كما طالبوها بسن قانون بمنع الطعن في الدين وفي العقيدة الاسلامية !! يحصل هذا في لندن، والمسلمون في نوم عميق ؟

وهكذا تكون الغيرة الايمانية، والحمية الاسلامية. لا دعاوى تقال، وألفاظ تذهب مع الريح هباء منثورا .

— 6 —

رأيت المبتدع الألباني اعترض على الدكتور سعيد رمضان البوطي في قوله : النبي ﷺ أفضل الخلق. وسأل مستنكرا : ما دليله على هذه الدعوى ؟ وزعم أن في المسألة خلافا أحال به على شرح العقيدة الطحاوية. وهذه المسألة أفردتها بكتاب سميته «دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين» وقد طبع منذ مدة، والحمد لله. ولكن سأبين هنا بطلان كلام هذا المبتدع الجاهل، وأثبت أفضلية النبي ﷺ بأدلة من الكتاب والسنة بحول الله وتوفيقه .

وأول خطأ في كلام هذا المبتدع : دعواه وجود الخلاف في المسألة، وأنه موجود في شرح العقيدة الطحاوية. والخلاف الموجود في الكتاب المذكور، هو في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة بوجه عام، ولم يتعرض لأفضلية النبي ﷺ ، لأنها مجمع عليها بين العلماء، ولم يشذ عن إجماعهم إلا اثنان ابن حزم والزمخشري، وشذوذهما لا يؤثر، بل الاجماع حجة عليهما .

وبلغني عن هذا المبتدع أنه ينكر الاجماع، مثل بقية مبتدعة العصر، مستندين إلى قول نسب إلى الامام أحمد في نفي الاجماع، وهو خطأ عليه .

قال ابن القيم في اعلام الموقعين : ولم يكن — يعني أحمد — يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صاحب ولا عدم

علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس إجماعا. وقد كذب أحمد من ادعى هذا الاجماع، وكذلك الشافعي. قال في رسالته : ما لا يعلم فيه خلاف فليس إجماعا .

فهذا هو الذي أنكره الامام أحمد والشافعي من دعوى الاجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

وقال غيره : أنكر الامام أحمد الاجماع الذي يحكيه الأصم وبشر المريسي على آرائهما، مع جهلهما بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف. والامام أحمد نفسه حكى الاجماع في مسائل معروفة عند الحنابلة .

ولا تغتر باستبعاد الشوكاني في إرشاد الفحول، لامكان الاجماع، وإمكان نقله، متأثرا بكلام النظام المعتزلي، وزاد فنقل عن الامام أحمد أنه قال : من ادعى وجود الاجماع فهو كاذب، ولفظ (وجود) لم يقله أحمد، بل أضيف إليه ممن ينكرون الاجماع .

والشوكاني كان زيديا معتزليا ــــ والزيدية معتزلة ــــ ولما ترك مذهبه وانضم إلى أهل السنة، بقي عنده بقايا من أثر الاعتزال، منها إنكار الاجماع .

ونظير هذا أن كعب الاحبار، كان من علماء اليهود وهم لا يعتقدون عصمة الأنبياء، فلما أسلم، بقيت معه عادته تلك، فكان في قصصه عن الأنبياء، ينسب إلى بعضهم ما ينافي العصمة، من غير شعور منه بما فيها من خطر .

وأوضح دليل على وقوع الاجماع، ما نشاهده من اجتماع أصحاب المذاهب على قول الامام في المسائل الفرعية، مثل اجتماع المالكية على أن فرائض الوضوء سبعة، واجتماع الشافعية على أنها ستة، واجتماع الحنفية على أنها أربعة، مع انتشارهم من القارة الافريقية إلى آسيا والهند، وفيهم علماء كبار بلغوا درجة الاجتهاد، بل صرح كثير منهم أن اجتهادهم وافق طريقة الامام التي اختاروا السير عليها .

فاجتماعهم على قول إمام، دليل على أن اجتماع المجتهدين على حديث النبي ﷺ أولى بالامكان، وأجدر بالوقوع، ولا التفات إلى ما أبداه النظام ومن شايعه من إيرادات متمحلة، حتى قالوا : من يدرينا ؟ لعل أحد المجتهدين رجع عن قوله، أو وافق ظاهرا لا باطنا، ونحو هذا من السخافات !! ولهذا البحث بقية في كتب الأصول(7). وبعد، فإن الدليل على أفضلية النبي ﷺ على الخلق أمور :

أحـــدهـــا

قول الله تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ رحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ورحمة لمن كفر به أن يعافى مما كان يصيب الأمم السابقة من العذاب في الدنيا بالخسف والمسخ ونحو ذلك، ورحمة للملائكة أنهم أمنوا العاقبة بثناء الله عليهم في القرآن، ولم يكونوا يأمنونها. فهو بهذا أفضل منهم .

---

(7) ــ لتلميذنا العلامة المطلع السيد حسن السقاف الحسيني كتاب «احتجاج الخائب بعبارة من ادعى الاجماع فهو كاذب» رد به على الألباني، ومسح به الأرض لا بالشتم والسباب فإنه عف اللسان ولكن بما ساقه من الأدلة على حجية الاجماع ووقوعه، مع نقل نصوص الأئمة من الصحابة وغيرهم من العلماء المجتهدين والفقهاء والأصوليين، وبين حال النظام ومن شايعه مثل ابن الوزير والأمير الصنعاني وأحمد شاكر وغير ذلك. بحيث فضح جهل الألباني وكشف عوراه، فهذا الكتاب يعتبر مرجعا هاما في بحث الاجماع، ما عليه مزيد .

ثـــانيهـــا

قول الله تعالى في حق الملائكة : ﴿**ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾ .

والدليل في هذه الآية من وجهين :

الأول : بينه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله : إن الله عز وجل فضل محمدا ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا : يا ابن عباس ما فضله على أهل السماء ؟

قال : لأن الله عز وجل قال لأهل السماء : ﴿**ومن يقل منهم انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾ وقال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿**انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ قالوا : يا ابن عباس ما فضله على الأنبياء ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾ وقال الله لمحمد ﷺ : ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾ فأرسله الله عز وجل إلى الانس والجن .

رواه البيهقي في دلائل النبوة : ج : 5. ص : 486 .

الثاني : بينه الحافظ السيوطي حيث قال : فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى : ﴿**وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**﴾ فثبت بذلك إرساله ﷺ إلى الملائكة. اهـ . من تزيين الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك. والرسول أفضل من الرسل إليهم .

ثـــالثهـــا

قول الله تعالى : ﴿**لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾ .

أخرج البيهقي عن ابن عباس قال : ما خلق الله خلقا أحب إليه من محمد ﷺ. وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال : ﴿**لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾ وحياتك انهم لفي سكرتهم يعمهون .

دلائل النبوة : ج : 5 ص : 488 .

قال في الاكليل : واستدل بها أحمد بن حنبل على أن من أقسم بالنبي ﷺ، لزمته الكفارة .

قلـــت : وجه الدلالة من الآية أن الله تعالى لم يقسم بحياة نبي ولا ملك .

وفسر الزمخشري الآية على اضمار فعل مقدر، أي قالت الملائكة للوط : ﴿**لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾. وقد ضعفه ابن القيم، والأصل عدم التقدير .

رابـعـهـــا

المقام المحمود الذي خصصه الله به، دون الملائكة والأنبياء. قال الله تعالى : ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ .

وهي الشفاعة العظمى .

روى أحمد وابن جرير والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ في قوله : «**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**» وسئل عنها ؟

فقال : «**هي الشفاعة**» قال الترمذي : هذا حديث حسن. قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . اهـ

وقال ابن كثير : أي افعل الذي أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقاما محمودا يحمدك فيه الخلائق وخالقهم تبارك وتعالى . اهـ

وأحاديث الشفاعة العظمى، مخرجة في الصحيحين وغيرهما مع بيان أنها من خصوصيات النبي ﷺ. وهي متواترة .

خامسها

وإن ذهبنا إلى القول الذي تفرد به مجاهد في المقام المحمود : أنه إجلاس النبي ﷺ على العرش فهو أيضا خاص به، لم ينله نبي ولا ملك .

وهذا ظاهر، لا خفاء فيه .

سادسها

روى الترمذي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل : أبمحمد تفعل هذا ؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقا .

حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان .

قال السهيلي : ان البراق استصعب عليه ﷺ، لبعد عهده بركوب الأنبياء قبله .

وهذا الحديث يفيد أفضلية النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، لأنه ركب البراق مع النبي ﷺ، كما ثبت في حديث حذيفة رضي الله عنه، وقد خاطب البراق بقوله : ما ركبك أحد أكرم على الله منه، والمخاطب ــ بكسر الطاء ــ داخل في عموم خطابه، كما تقرر في علم الأصول .

وأما ما يقال : أن جبريل عليه السلام، كان آخذا بركاب النبي ﷺ وهو على البراق، فمن وضع الجهلة القصاص .

وقد حصل بيني وبين الشيخ محمد الشربيني من تلاميذ الشيخ الألباني، نزاع في هذه المسألة حيث زعم صحة هذه الخرافة، وأثبت له بطلانها، بما نقلته من كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

ومثل هذا التعبير لا يليق بمقام جبريل عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى أثنى عليه ثناء كبيرا في قوله تعالى : ﴿**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين**﴾ فلا يجوز أن يقال في حقه : كان خادما للنبي ﷺ، أو ممسكا بركابه، أو مثل هذه العبارات. والنبي ﷺ نفسه كان يعظم جبريل عليه السلام ويفرح بلقائه، ويتواضع معه .

سابعها

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ان صاحبكم خليل الله**» وله طرق في الصحيح. فالنبي ﷺ خليل الله بنص الحديث، وهذه رتبة لم ينلها أحد من الملائكة، فهو أفضل منهم .

والخلة أفضل من المحبة، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المؤمنين، ولم يتخذ من خلقه خليلا إلا ابراهيم والنبي ﷺ، فهما أفضل الخلق .

ثامنها

إجماع أهل السنة على أفضليته ﷺ على الملائكة. ومخالفة ابن حزم والزمخشري لا يعتبر بها لشذوذها كما سبق التنبيه عليه .

تاسعها

في صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزُّرَقي وكان من أهل بدر قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها. قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة .

ورواه البيهقي بإسناد البخاري ولفظه : سأل جبريل النبي ﷺ كيف أهل بدر فيكم ؟ قال : «**خيارنا**» قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هم خيار الملائكة .

أفاد الحديث تفضيل الملائكة الذين شهدوا بدرا على من لم يشهدها منهم، وأنهم كانوا تبعا للنبي ﷺ من جملة جنوده، فهو أفضل منهم .

وأختم بهذا الأثر الذي رواه البيهقي عن بشر بن شغاف الضبي، قال : كنا جلوسا مع عبد الله بن سلام يوم الجمعة فقال : إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة، وان أكرم خليقة الله على الله : أبو القاسم ﷺ، قلت : رحمك الله فأين الملائكة ؟ قال : فنظر إليَّ وضحك فقال : يا ابن أخي، وهل تدري ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق، وإن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم ﷺ، وذكر بقية الأثر .

دلائل النبوة. ج : 5. ص : 485 .

وهذا آخر ما يسره الله تعالى وفتح به. وأسأل الله الذي وفقني له وألهمنيه، أن يقبله مني، ويجعله سببا لنيل شفاعة نبيه وخليله ﷺ .

تم تحريرا يوم الأحد فاتح شوال سنة 1409 هـ .

والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على أفضل خلقه سيدنا محمد وآله الكرام، ورضي الله عن صحابته الأئمة الاعـــلام

مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال
المنطقة الصناعية ـ طريق تطوان ص. ب. 101
الهاتف : 425.02 ـ طنجة



رقم الايداع القانوني : 456 /89

الثمن : 10 دراهم